

أضواء البيان

@ 38 @ .

ومنها : أن معنى الآية . فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم ، وهذا القول حكاه ابن عطية ، واستحسنه ابن كثير ، وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية الكريمة . ووجهه ظاهر ، لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب والإبعاد عن الهدى ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة . كقوله تعالى : { بَلْ طَٰغَيْتَ اللَّٰهَ ۖ عَلَٰيْهَا بِيكْفُورِهِمْ ۚ } ، وقوله : { فَلَمَّٰنَ زَاغُوا ۖ أَزَٰغَ اللَّٰهَ ۖ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّٰهَ ۚ } ، وقوله : { فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّٰهَ مَرَضًا } ، وقوله : { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ۖ ثُمَّ كَفَرُوا فَطَٰغَيْتَ ۖ عَلَٰى قُلُوبِهِمْ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد تكون فيها أوجه من التفسير كلها يشهد له قرآن ، وكلها حق . فنذكر جميعها والعلم عند الله تعالى . ! 7 . ! 7
قوله تعالى : { ثُمَّ ۖ بَعَثْنَا مِنۢ بِعْدِهِم مَّوْسَىٰ بِآيَاتِنَا ۖ إِلَٰى فِرْعَوْنَ ۖ وَمَلَٰٓئِكَ ۖ فَطَلَمُوهُ ۖ بِهَا } . .

بين تعالى هنا أن فرعون وملاه ظلموا بالآيات التي جاءهم بها موسى ، وصرح في النمل بأنهم فعلوا ذلك جاحدين لها ، مع أنهم مستيقنون أنها حق لأجل ظلمهم وعلوهم . وذلك في قوله : { فَلَمَّٰنَ جَآءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبِصِرَةً ۖ قَالُوا ۖ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ وَجَحَدُوا ۖ بِهَا ۖ وَاسْتَيْقَنَتْهَا ۖ أَنۢفُسُهُمْ ظُلَمَآ ۖ وَعُلُوًّا } . ! 7 . ! 7

وقوله تعالى : { وَنَزَعَ يَدَهُ ۖ فَاِذَآ هِىَ بِأَيْمَٰنٍ ۖ لِّلنَّٰظِرِينَ } . .
ذكر تعالى هنا أن موسى نزع يده فإذا هي بيضاء ، ولم يبين أن ذلك البياض خال من البرص ، ولكنه بين ذلك في سورة (النمل) و (القصص) في قوله فيهما : { تَخْرُجُ بِأَيْمَٰنٍ ۖ مِنۢ غَيْرِ سُوٓءٍ } أي من غير برص . ! 7 7 ! قوله تعالى : { قَالِ ۖ الْمَلَأَ مِنۢ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ۖ إِنَّ ۖ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ ۖ عَلِيمٌ } . .

بين هنا أن موسى لما جاء بآية العصا واليد قال الملأ من قوم فرعون إنه ساحر ، ولم يبين ماذا قال فرعون : ولكنه بين في (الشعراء) أن فرعون قال مثل ما قال الملأ من قومه ، وذلك في قوله تعالى : { قَالِ ۖ لِمَلِإِ حَوٰلَهُ ۖ إِنَّ ۖ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ ۖ عَلِيمٌ } . .
قوله تعالى : { فَلَمَّٰنَ ۖ أَلْقُوا ۖ سَحَرُوا ۖ أَعْيُنَ النَّاسِ ۖ وَاسْتَرَهُۥ ۖ وَهُمُ ۖ

وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ . . .

لم يبين هنا هذا السحر العظيم ما هو؟ ولم يبين هل أوجس موسى في نفسه الخوف منه؟ ولكنه بين كل ذلك في (طه) بقوله : { فَإِذَا حِيلَ لَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُوا إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْزَلْنَاهَا تَسْعَى فَأَوَّجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْ إِنَّمَا لَنَا تَحْفُوفٌ وَإِنَّكَ آتٍ بِالْآسِفِ الْعَلِيِّ وَأَلْقَى مَا فِي